

شعر

## تعويذة لدخول البيت

---

أمجد ناصر

I

حَطِّي العنْبَةَ  
وادخلي البيتُ  
بخفقة  
الضوء  
هذي  
شيّعي المُمسكَ رمحاً طويلاً  
على باب الليلِ إلى ذويه فقد افتقدوه.

II

حَطِّي العنْبَةَ  
وادخلي بقدَمِ السَّعدِ؛  
الوعدُ  
قابَ قوسينِ أو أدنى  
الدهرُ سيأفُ الفصولُ يُحني هامه  
فنشبُ ونشيبُ في بارقِ كاحلكِ.

III

حَطِّي العنْبَةَ

وبسملی  
ففي كل لفتة منك يطيرُ سربُ يمام  
أشدُّ بياضاً من سريرة النائم  
ومع كل فتلة لك  
يهتدي قمرٌ ضالٌ إلى مداره.  
بيدك اليمنى اطمعي كف الحناء على قنطرة البيت  
فليل الليالي كلها عندما تضعين قدماً على العتبة مُرغماً ببيض.

لك أيضاً معجزة

ليس عادياً ولا مُسلماً به أن تطلي  
علينا بطولك المشهوق فكيف أن تتباسطي معنا.  
لك أيضاً مُعجزة لكنها ليست طيرةً قُطعت إرباً تستجمع أوصالها وتطير،  
ولا الغريب بأحذة البعاد على سيمائه يعودُ إلى أهله،  
ولا الأعمى يرفع قميصك المهجور إلى عينيه  
المظلمتين فتسيلُ منهما قضة،  
ولا الكلمات تُتلى على جبل فيخرُّ على ركبتيه  
بل مجردٌ وجودك بيننا في مقهى رصيفي  
أو محطة قطار أنفاق وتنفسك الهواء الزائل نفسه  
صدرك يعلو ويهبط فيختلج خلف قميصك السكري كوكباك الثقيلان  
أسمك نطقه كما نطق أسماء أقراننا فترن أجراس في البعيد  
يدك بل العرق الأخضر فيها عندما ينحسر كُم رداك  
تحت ضوء النهار الضئيل.  
المطره تُبللك مثلنا فيختلط عطرك بفوح أعطافك  
فتصيرُ لك رائحة نخلة وحيدة.  
التنهدة الخفيفة كأنها الحسرة تندُّ منك  
كلما تذكرت قرطك الذي ضاع ونحن نخرج  
من صالة السينما وعبثاً نجده  
وضعك ساقاً على ساق  
فتفح رائحة مردكوش يقطف للتو  
ويشدُّ جوربك الأسود ربلتك البيضاء  
من دون أن تشعري بما ينهض حولك

وما يتقوّض  
المنديلُ الذي تتركينه على الطاولة  
والسجائرُ التي تدخنين ربعها وتطفئينها ملأً  
ما لا تقيمين له وزناً  
وما تهجرينه.

ليس عادياً ولا مُسلماً به أن تطلي علينا  
بطوك المشهوق فكيف أن تمدي لنا يداً لنرقى إليك.

الشَّمسُ رمتني بناجها الذهبِي

I

لم أملكُ بتصغير اسمك ولا  
بالقُبَل التي وَقَعَتْ من فمي على الأرضِ الوطأتها  
فالعابِرُ مثلي لا يملكُ، لكنك ملكتني بأصغرِ شيءٍ فيكِ.  
بالمهمَلِ،  
بالمرميِّ على الكرسيِّ أو على حافةِ سريرِكِ.

أسيرُكِ بل أشدُّ أسراكِ إخلاصاً لأسره  
لا رماحَ قبيلتي ولا كثرةَ إخوتي ستحررانِ أصغريَّ  
من شبكِ السرِّ، فالكتمانُ أدهى من الفقدِ.

لا أملكُ مع أن فمي سمّاكِ وسمّي عليكِ  
وطافَ في أنحائكِ وعادَ من الظلالِ العميقةِ  
برائحةِ كوكبٍ يُولدُ من مجرةِ الندىِ.

القميصُ المتروكُ  
الملاءةُ المبقعةُ بماءِ الحشرِ  
اللبلابُ الذي تُعرّشُ الجدرانَ وأنتِ  
تروجين فوقِي كنورج يُحرّكهُ ثورٌ تآبَدَ في دورانه  
تشهدُ أنني وصلتُ إلى ما وصلتُ إليه:  
هذه الذكرى التي تغيمُ وتمطرُ على أكفِّ ممدودةٍ عرضاً.

فبعد أن ترفعي عني أنفاسك الحارثة تصيرين غيمة  
لم يعد لديها ما تقدمه للصحراء التي خلقتها ورائي  
ووجدتني أتلاً في سراها كلما فرغنا من الحب.

## II

أحبُّ يا بدوية البرد  
لأن الشمسَ رمت نأبها الذهبِيَّ في ظهري  
فجعلتُ أحجلُ حولك،  
تأرجحتُ بين الخيطِ الأبيضِ والخيطِ الأسودِ  
ولم أقعُ في المشتبهات.  
فزتُ بالشاماتِ الثلاثِ على لوحِ كتفك،  
وأضعُها في الطريقِ إلى البيتِ.

كان بياضُ خالدٍ وأنت تصعدين الدَّرج  
النورُ يسيلُ من ظلالِك العميقةِ  
على ساقيكِ  
كعبيكِ  
باطنِ قدميكِ  
فيضيئُك وحدكِ.

في النورِ العازلِ  
الذي يمشي فيه العابرُ فلا يرى  
مندفعاً بظَهري قُدماً  
كانت كمشةُ ثرابٍ تثقلُ جيبِي.

مديحُ السُرَّةِ  
سُرَّتُكِ  
كرازةُ  
سُرَّمَةُ

تحديقهُ عينِ الطفولةِ في اكتمالِ القمرِ  
فصُّ الحكمةِ الرَّعويةِ تمشي بها الركبانُ

في غمده خنجرُ البدويِّ يُرهِفُ  
نصلُهُ فيرتعشُ تويجُ الوردةِ  
الإنكليزية وتضمُّ أكمامها.  
اذرفي يا خرزة الأفعى  
يا عين الغفلة القاتلة  
سُمَّك الشافي.

سُرَّتْكَ  
هَمَّهُمَّةٌ  
لُتْعَةٌ  
مجانٌ يفتحُ بابَ الليلِ ويُفْرِطُ في السَّهرِ  
نهضةُ نَمْرَةٍ  
أسٌّ على مرمرٍ يتمرأى في هباء الأبد  
أمارهُ الداخِلُ  
نجمة المنقلبِ إلى أهله بُدْبَةٌ على الجبين.

سُرَّتْكَ  
سرُّ الأمِّ  
ريحانُ الطفولة لابناً هناك  
جمهرهُ الندى  
تجليُّ الفضة في ذاكرة التراب  
زفرة اللهوفِ  
نجمة الصُّبحِ  
لا موقعها الذي هجرته،  
هذي الكأسُ جَنَّبِيَّهَا  
وهذا البلاءُ جَرَّعْنِيهِ.

سُرَّتْكَ  
مَنْ رَأَى أَطْلَّ عَلَى اقْتَلُونِي  
وَمَنْ  
لَمْ  
يَرَ  
نَجَا.

.....

أنت  
أسمك  
رنة صوتك  
قيلتك  
رؤسائك  
قممك وسفحك  
آراك  
نحلثك وعسلك  
أصغراك  
طبغ اللبوءة فيك  
رحمتك  
طعم ملحك  
عشك  
بيضة رحك  
خطوئك  
قدمك  
أصابع قدمك  
صندك  
حجر يشبك  
مرمرك  
لوح كتفك  
سرتك  
عين سرتك  
يمامتك  
مجراك  
مسيل نداك  
غفوئك  
فوح نومك  
منامتك  
حمالة نهديك

سرِّوَالِكِ  
بِخُورِ أَعْطَافِكِ  
بِرُقِّكَ  
رِعْدُكَ  
صَلَاةِ اسْتِسْقَانِكِ  
امْطَارِكِ  
رَائِحَةُ الْأَرْضِ غَبِّكَ  
كَمَّأِكَ  
غَرِيزَةُ الطَّيْرَانِ فِي جَنَاحِ بَاشِقِكِ  
صَوْلَتِكَ وَجَوْلَتِكَ  
بِرِزْحِكَ  
الْأَلْمُ شَاكِي السَّلَاحِ عَلَى تَخُومِ مُلْكِكَ  
بِرِزْحِكَ  
أَسْرَاكِ وَأَحْرَارِكِ يَرْمُونَ مِنْ أَعْلَى أَبْرَاجِكِ  
مَنَادِيلَ وَتَذَكَرَاتِ تَدُلُّ عَلَيْهِمْ  
وَاللَّيْلُ الَّذِي اسْتَنْفَذَ ظُلْمَتَهُ بِيَاضِكَ  
يَخْلِي حُجْرَاتِهِ لِيُؤْوِيَ الْعَائِدِينَ بِبُذْبِ  
وَوَسُومِ مِنْ مَنَاسِكِكَ.  
جَنَّةُ جَنَّتِكَ  
وَنَارُكَ نَارًا  
لَا يَذُوقُهُمَا  
إِلَّا  
مَنْ أَنْبَتَ الشُّوقَ فِي قَلْبِهِ نَخْلَةً طَرَحَتْ  
وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ذَاقَ ثَمَارَهَا  
إِلَّا  
عَابِرُ مَفَازَةِ الْبُوحِ بِكَلِمَةٍ مِنْ فَمِهِ لِفَمِكَ.  
إِلَّا الَّذِي تَنَسَّاهُ نَفْسُهُ  
وَتَذَكَّرَهُ أَنْفَاسُهُ  
بِرُدِّكَ  
حَرَائِقُكَ  
سَلَا  
مُكِ.